مجلة الشهاب • المجلد: 10، العدد: 02 (2024م) • ص ص 459 - 476
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/391

الإمام عبد الرحمن الثعالبي في فكر المفكر الجزائري عبد اللطيف عبادة

Imam Abd al-Rahman al-Tha'alabi in the thought of the Algerian thinker Abd al-Latif Abad

صلاح الدين خنوفه *
مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
جامعة الوادي (الجزائر)
Khennoufa-salaheddine@univ-eloued.dz

عباس منصر
مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية
جامعة الوادي (الجزائر)
meneceur-abbas@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2024/01/20	تاريخ القبول: 2024/06/26	تاريخ النشر: 2024/07/15

****

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى إبراز مكانة عبد الرحمن الثعالبي عند عبد اللطيف عبادة، والتعريف بعَلم من أعلام الفكر الإسلامي في الجزائر، ومعرفة علماء التصوف الذين تأثر بهم الإمام الثعالبي، ومعرفة علماء الجزائر المتصوفة الذين كان لهم دور كبير في عملية إصلاح المجتمع الجزائري؛ وتوصلت في ختام البحث إلى أنّ المفكر عبد اللطيف عبادة يرى أنّ الإمام الثعالبي سلك طريق التصوف السني في تفسيره الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ويعد المفكر عبد اللطيف عبادة هو مالك بن نبي الصغير، وأوّل من أجرى دراسة صوفية لآيات القرآن الكريم في تفسير الجواهر الحسان في كتابه التفسير الصوفي للشيخ عبد الرحمان الثعالبي، وتصوف الإمام الثعالبي هو امتداد للمدرسة الشاذلية.

الكلمات المفتاحية: . عبد الرحمان الثعالبي؛ عبد اللطيف عبادة؛ التصوف؛ الجزائر؛ المفكر.

Abstract :

This research aims to highlight the status of Abd al-Rahman al-Tha'alibi among Abd al-Latif Obada, to introduce one of the figures of Islamic thought in Algeria, to know the sufi scholars who were influenced by Imam al-Tha'alibi, and to know the Algerian sufi scholars who had a major role in the process of reforming Algeria society. At the conclusion of the research, I concluded that the thinker Abdul Latif Obada believes that Imama Al-Tha'alibi followed the path of sunni Sufism in his interpretation of Al-jwahir Al-Hisan in the interpretation of the Qur'an. The thinker Abdul Latif Obada is considred Malik bin Nabi Al-Saghir, and the first to conduct a sufi study of the verses of the Holy Qur'an in the interpretation of Al-Jawaher Al-hisan in the interpretation of the Qur'an. His book, The Sufi interpretation by Sheikh Abd al-Rahman al-Tha'alibi,and The Sufism of Imam al-Tha'alibi, is an extension of Shadhili school.

Keywords: Abdul Rahman Al-Tha'alibi; Abdul Latif Obada; sufism; Algeria; The thinker.

* المؤلف المراسل.

1. مقدمة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي جعلنا من أمة القرآن، الحمد لله الذي جعلنا من أمة خير الأنام محمد عليه الصلاة والسلام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله شهادة ننجو بها من النزغات ونعلو بها إلى أعلى الدرجات أما بعد،

فقد أنزل الله عز وجل القرآن الكريم، وقد جعل تبيانه وبيانه لأهل الذكر وأولي العلم، ومنهم علماء التفسير الذين يفسرون كلام الله عز وجلّ، وما من بلد من البلاد إلا وله علماء في التفسير، فقد أنجبت بلادنا الجزائر على مر تاريخها العديد من العلماء المفسرين لكلام الله عزّ وجلّ؛ ومن هؤلاء العلماء العالم عبد الرحمن الثعالبي الذي يعد من أكابر علماء الجزائر، فجاء هذا البحث لتسليط الضوء حول تصوف العلامة المفسر الثعالبي في فكر المفكر الجزائري عبد اللطيف عبادة.

أهمية الموضوع:

- المكانة العلمية للعلامة عبد الرحمن الثعالبي في الجزائر والعالم الإسلامي.
- كون الإمام الثعالبي أهم من صبغ تفسيره بالصبغة الصوفية المعتدلة.
- أهمية دراسة التصوف السني في إصلاح الواقع الجزائري على مر التاريخ.
- كون عبد اللطيف عبادة أحد أهم تلاميذ المفكر الجزائري الكبير مالك بن نبي.

الإشكالية:

إنّ الدراسات حول الإمام عبد الرحمن الثعالبي كثيرة ومتنوعة في شتى مجالات العلوم الشرعية، فمن هذه الدراسات ما نجده عند المفكر الجزائري عبد اللطيف عبادة، وهو ما يجعلني أطرح الإشكاليات الآتية:

- ✓ من هو المفكر الجزائري عبد اللطيف عبادة؟
- ✓ كيف كانت رؤية عبد اللطيف عبادة للإمام الثعالبي وتصوفه؟ وكيف حضرت تلك النزعة الصوفية في تفسيره؟
- ✓ كيف حكم عبد اللطيف عبادة على تصوف الإمام الثعالبي؟
- ✓ ما هو دور الإمام الثعالبي الإصلاحي في الأمة الجزائرية؟

أهداف البحث:

- ○ إبراز مكانة الإمام عبد الرحمان الثعالبي عند المفكر عبد اللطيف عبادة.
- ○ التعريف بعَلَم من أعلام الفكر الإسلامي في الجزائر عبد اللطيف عبادة.
- ○ معرفة علماء التصوف الذين تأثر بهم الإمام الثعالبي.
- ○ معرفة علماء الجزائر المتصوفة الذين كان لهم دور كبير في عملية إصلاح المجتمع الجزائري.

الدراسات السابقة:

لم أعثر على حسب علمي على دراسة درست الإمام الثعالبي في فكر عبد اللطيف عبادة، إلا ما يقاربها مثل:

- عبد الرحمن الثعالبي والتصوف، عبد الرزاق قسوم، تقديم: محمد الهادي الحسني، الطبعة الأولى، مؤسسة عالم الأفكار للطباعة والنشر، 2007م.

- عبد الرحمان الثعالبي: الإمام المتصوف في فكر عبد الرزاق قسوم، عبد القادر صحراوي، جامعة سيدي بلعباس، مجلة الحوار المتوسطي، المجلد التاسع، العدد2، تاريخ النشر:2018/09/30م، ويختلف مقالي عن هذا المقال أنّه دراسة عن تصوف الإمام الثعالبي في فكر عبد اللطيف عبادة أمّا مقال عبد القادر صحرواي هو دراسة تصوف الإمام الثعالبي في فكر عبد الرزاق قسوم حول كتابه عبد الرحمن الثعالبي والتصوف الذي ذكرته كأول دراسة سابقة، ويتوافقان في فكرة عنوان البحثين.

منهج البحث:

- المنهج الوصفي: يتضح هذا المنهج في وصف السيرة الذاتية للمفكر الجزائري عبد اللطيف عبادة.
- المنهج التحليلي: يظهر هذا المنهج في تحليل آراء المفكر عبد اللطيف عبادة في الإمام الثعالبي.

خطة البحث:

1.مقدمة

2. ترجمة عبد اللطيف عبادة.

1.2. الحياة الشخصية.

2.2.الحياة العلمية.

3. رؤية المفكر عبد اللطيف عبادة لتصوف الإمام المفسر عبد الرحمن الثعالبي.

1.3. التعريف بالإمام الثعالبي وبيئته.

2.3. المنحى الصوفي للإمام الثعالبي عند عبد اللطيف عبادة.

3.3.مصادر التصوف عند الإمام الثعالبي في منظور عبد اللطيف عبادة.

4. علاقة تصوف الإمام الثعالبي بالإصلاح الجزائري

1.4. رواد الإصلاح وعلاقتهم بالثعالبي.

2.4. عناية مبارك الميلي بالجواهر الحسان.

5.خاتمة.

2. ترجمة عبد اللطيف عبادة.

يتناول هذا المبحث الحديث عن مفكر من المفكرين الجزائريين المعاصرين المغمورين؛ وهو عبد اللطيف عبادة، وسأعقد ترجمة تُعرّف بهذا المفكر الكبير من خلال الكلام عن حياته الشخصية وحياته العلمية التي قضاها في ميادين العلم والمعرفة.

1.2. الحياة الشخصية.

ولد عبد اللطيف عبادة في 19 ماي 1946 بإحدى قرى مدينة قرارم بولاية ميلة التي أنجبت الكثير من أعلام الإصلاح والفكر وأبطال الكفاح الوطني[1].

يتحدث المفكر عبد اللطيف عبادة عن نشأته في حوار أجراه معه الدكتور حسن خليفة قائلا:" ولدت في 19 ماي1946 بإحدى قرى مدينة قرارم على مقربة من مدينة ميلة التي منها العالم مبارك الميلي" ثم يواصل حديثه قائلا:" بعد إغلاق الكتاب الذي كان يدرس به والدي دخلت المدرسة الفرنسية الابتدائية ثم انتقلت إلى ميلة لمزاولة دروسي الإعدادية قرب المدرسة التي أسّسها الشيخ مبارك الميلي والمسجد الذي أسّسه هو أيضا وكان هذا قبل الاستقلال بسنتين؛ كانت تلك السنوات تمثل احتضار الاستعمار 1961 و1962 وكان من ضمن المعلمين الذين درسوا في تلك الفترة لعرابة وبوعروج والشيخ الطيب بن عميرة وهم من أسر وطنية ذات خلفية إصلاحية"[2].

نشأ المفكر عبد اللطيف عبادة في جو يسوده العلم، وقد عبّر عن هذا أثناء حواره مع حسن خليفة فقال:" وكنت أحضر دروس شيوخ جمعية العلماء بعد أن عطلت الجمعية دون أن تحل أمثال بلغمراني وبن طيار بوعروج كما أستمع إلى المناقشات التي تدور في شتى مجالات الحياة ولاسيما السياسية منها، وقد أثارت مقولة ديغول:" لقد فهمتكم" مناقشات وتأويلات كثيرة"[3].

انتقل عبد اللطيف عبادة بعد هذه المرحلة إلى مدينة العلم والعلماء قسنطينة مع عائلته فيروي تفاصيل هذه المرحلة قائلا:" وفي سنة 1962 انتقلت إلى قسنطينة كما انتقلت عائلتي وأصبحت أدرس بإعدادية بن عبد المالك رمضان، وبعد حلول الاستقلال بردا وسلاما على الأمة وكنت أحد أفراد هذه الأمة أنا وعائلتي فرحنا كما فرح أفراد شعبنا وتظاهرنا كما تظاهروا ونادينا بحياة الزعماء الخمسة ورفعنا أعلام الوطن وواجهنا الأخطار أثناء المظاهرات امتثالا لأوامر القيادة الثورية، واستمعنا إلى المناقشات حول مسار الثورة والخلافات التي ظهرت بين زعمائها، أضف إلى ذلك أنّنا واجهنا أيضا الفترة الانتقالية بصبر

1 ينظر: جمعية أصدقاء المعرفة، سيرة الدكتور عبد اللطيف عبادة رحمه الله في حوار أجراه معه الدكتور حسن خليفة، https://www.facebook.com/asavoire/posts/321175688885010، 3 ماي 2023، العاشرة مساء.

2 ينظر: المرجع نفسه.

3 ينظر: المرجع نفسه.

وأناة ووعي ولكن بكمد أيضا إذ انتشر الفقر والتسول وقلّت فرص العمل وقلّت حتى السيولة المالية، فكان العمال يتلقون أجرة عملهم بالمواد الغذائية"[1].

يصف لنا المفكر الجزائري عبد اللطيف عبادة الأحوال الاجتماعية التي كانت سائدة في عصره، والأحوال الصعبة التي كان يواجهها الدعاة والمشايخ فيقول:" واجهنا تلك الفترة بتململ في أوساط الدعاة الذين عمل البعض على كم أفواههم. ولقد كانت محنة الإبراهيمي وابنه ومحنة بعض العلماء بعد ذلك دليلا على أنّ الدعوة لم تكن بخير، غير أنّ الشباب أمثالنا كان يهمهم بالدرجة الأولى التوعية الدينية الأولية ومحاربة الفساد الأخلاقي ومحاربة الخمور والآفات الاجتماعية عموما وتكوين جمعيات لبناء المساجد وجمع المال لذلك الغرض ومواجهة المد الشيوعي والفرنسة؛ وكان هذا دور تلاميذ الثانوية وطلبة الجامعة وكان لي الشرف الكبير أن أواجه في 1966 أكاذيب المحبين للغرب وللشيوعية وقد أتت هذه المجهودات أكلها في مناقشة الميثاق الوطني التي صدعت بحقيقة معتقدات الشعب الجزائري"[2].

نستخلص من خلال هذه المسيرة التي مر بها المفكر عبد اللطيف عبادة والأحوال والظروف الاجتماعية عديد الفوائد التي ساهمت في جعل كونه مفكرا كبيرا بعد ذلك؛ وهي كما يلي:

1. التنوع في التعلم بين المدارس الفرنسية والمدارس الجزائرية يجعل الإنسان على دراية بلغة عدوه، وكما قيل :" من تعلم لغة قوم أمن شرهم" والمستعمر الفرنسي هو شر من الشرور الذي ابتليت به الأمة الجزائرية.
2. البيئة العلمية تُكسب طالب العلم همة العلماء خاصة إذا احتك بهم ورافقهم كما فعل ذلك عبد اللطيف عبادة فجعلت منه شابا يافعا مدافعا عن قضايا أمته ضد الاستعمار الفرنسي.
3. ضرورة فتح الساحة للعلماء والدعاة لإصلاح المجتمع وعدم قمعهم بكل الوسائل كما فُعل بالعلامة محمد البشير الإبراهيمي.

توفي المفكر عبد اللطيف سنة 2019 عن عمر ناهز 73 سنة بسبب مرضه المزمن[3].

2.2. الحياة العلمية.

1.2.2.النشأة العلمية:

لقد مرّ المفكر عبد اللطيف عبادة بحياة علمية حافلة بالعطاء العلمي الوفير والتميز الأكاديمي، وسأبدأ الحديث عن بداياته العلمية، ففي الحوار الذي أجراه معه حسن خليفة أرجع الفضل في تكوينه

1 ينظر: المرجع السابق.

2 ينظر: المرجع السابق.

3 ينظر: محمد مصطفى حابس، مقال كلمة في رحيل صاحب القلم المقل الدكتور عبد اللطيف عبادة وداعا، https://akhbarelyoum.dz/ar/200243/200254/273022، الخامسة مساء.

العلمي في البدايات مع شباب جيله إلى المفكر الجزائري الكبير الملقب بالمجهول في قومه[1] مالك بن نبي عليه رحمة الله والشيخ محمد الصالح النيفر والشيخ عبد اللطيف سلطاني والشيخ أحمد سحنون.

يعود تكوينه العلمي كذلك إلى اهتمامه بعديد الأمور التي صقلت شخصيته العلمية وقد عددها في حواره مع حسن خليفة قائلا:"... إنّ هناك أسبابا أخرى ساهمت في تعضيد ملمح الإسلام والعربية والأصالة، فكان أعظم عمل في تلك الفترة هذه الأمور؛ وهي تأسيس التعليم الأصلي الذي كانت له ثمار طيبة وما لبث أن اختفى مع ما سمي آنذاك بتوحيد التعليم، والتعريب الذي بسط أجنحته على كل ربوع الوطن غير أنّ من شعر بخطورته عمل على تعويضه بالتعريب العلمي والتدريجي، وكنت شخصيا من الذين قاموا بمجهود خاص في قسنطينة في ميدان التعريب، وتأسيس ملتقيات الفكر الإسلامي وكنت من المؤسسين وشاركت شخصيا في ملتقياته طالبا ثم شاركت محاضرا في عدة ملتقيات، ولا يمكن أبدا القفز على تلك الفترة دون ذكر دور الملتقيات التي كانت بمثابة جامعة عريقة متنقلة بالرغم من أيامها القليلة لكن آثارها في الحضور من الطلبة والشباب كان عميقا بعيد الغور حفرت عميقا هوية وأصالة شخصيتنا الجزائرية المسلمة"[2].

2.2.2. المشاركات العلمية:

شارك المفكر الجزائري عبد اللطيف عبادة في عديد التظاهرات العلمية بمواضيع متنوعة ومختلفة، ففي حواره مع حسن خليفة يجيب عن الملتقيات التي شارك فيها فيقول:" سمح مجمل النشاط آنذاك بمعرفة التيارات التي تتقاسم الفكر الإسلامي في المشرق والمغرب الإسلاميين، وأمّا عن مشاركاتي فقد شاركت محاضرا في ملتقى القرآن الكريم وملتقى الحديث الشريف وملتقى الاجتهاد وملتقى وحدة الأمة ووسطيتها وملتقى آخر أقيم في دار الثقافة بالعاصمة حول فقه مالك وأتباعه، وفي سنة 1972 بعد أداء الخدمة الوطنية التحقت بالتعليم الثانوي أستاذا في الفلسفة وحصلت على دكتوراه الدرجة الثالثة سنة 1980، وشاركت بمحاضرات كثيرة في إطار الجمعية الوطنية للتاريخ بمحاضرة حول العقبي ومحاضرات حول الشيخ مبارك الميلي في إطار المركز الثقافي الإسلامي في الجزائر العاصمة وتبسة والبليدة وقسنطينة وجيجل وبجاية ووهران وتلمسان وندرومة... وبعد انتهاء عهدتي البرلمانية وعودتي إلى التعليم العالي أستاذا للفلسفة بجامعة قسنطينة حيث درست الكثير من المواد لقلة الأساتذة في البداية، وبدأت منذ ذلك الوقت المشاركة في المحاضرات والندوات العلمية وفي الكتابة وفي المجلات الجزائرية والعربية وفي إلقاء المحاضرات في الجامعة الجزائرية وفي القاهرة في إطار المعهد العالمي للفكر الإسلامي وفي نواقشط بموريتانيا وفي الكويت"[3].

---

1 مالك بن نبي- المجهول في قومه، https://www.youtube.com/watch?v=h9pTc-BqqOQ، الواحدة مساء.

2 ينظر: جمعية أصدقاء المعرفة، سيرة الدكتور عبد اللطيف عبادة رحمه الله في حوار أجراه معه الدكتور حسن خليفة، ، https://www.facebook.com/asavoire/posts/321175688885010، 3 ماي 2023، العاشرة مساء.

3 ينظر: المرجع نفسه.

3.2.2. التوجه الفكري:

ألّف المفكر الجزائري عبد اللطيف عبادة العديد من المؤلفات العلمية والأكاديمية، وأنجز العديد من الأبحاث المنشورة في المجلات العلمية، وقد سأله الأستاذ حسن خليفة عن بداياته في اهتمامه بالفكر الإسلامي فقال:" بعد عودتي سنة 1974 كنت تعمقت في دراسة فكر مالك بن نبي الذي عرفته عن قرب في الملتقيات التي كان يعقدها الأستاذ مالك بن نبي في بيته في نهاية كل أسبوع للتعريف بفكره، وفي مسجد الطلبة الذي ساهمت في تأسيسه وطرحت مبادرة على الأستاذ عمر فلاحي الذي كان آنذاك رئيسا لتحرير جريدة النصر بأن أنشر مقالة عن الأستاذ مالك بن نبي فوافق دون تردد وكانت هذه الدراسة بعد حلول الذكرى العاشرة لوفاة الأستاذ مالك بن نبي ونواة لكتاب " صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي" الذي لقي رواجا، وانطلق منذ ذلك الوقت عملي المتواصل حول فكر مالك بن نبي، لم أترك ندوة أو محاضرة أو ملتقى أو مقالة إلا عرفت فيها بفكر مالك بن نبي دون تعصب يلحق الضرر بالمفكر وفكره الذي عرفه ماتسويتونج وعبد الناصر وأهل ماليزيا واللبنانيون والسوريون ومؤتمر باندونغ وجامعة الجزائر، اختلفوا في فهم فكره ولم يختلفوا في الإعجاب بمنهجه، عرفه الطلبة كما عرفه الباحثون، أُلفت حوله الكتب ونسجت حول فكره الأطروحات، ولقد راودني بناء نسق فكري يتناول من منظور بن نبي كل مناحي الحياة عنوانه "تصور مالك بن نبي للتجدد الفكري والسياسي في العالم الإسلامي"[1].

3. رؤية المفكر عبد اللطيف عبادة لتصوف الإمام الثعالبي.

سيكون حديثي في هذا المبحث عن تصوف الإمام عبد الرحمن الثعالبي المفسر في فكر المفكر الجزائري عبد اللطيف عبادة، والرؤية التي ينظر بها المفكر عبد اللطيف عبادة للعلامة عبد الرحمن الثعالبي من خلال كتابه " التفسير الصوفي للشيخ عبد الرحمن الثعالبي"، وسأتناول في الدراسة شقين مهمين تطرق لهما المفكر عبد اللطيف عبادة وهما؛ تصوف الإمام الثعالبي، ومكانة الأخلاق عند الإمام الثعالبي.

1.3. التعريف بالإمام الثعالبي وبيئته.

هو عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري[2].

ولد عبد الرحمن الثعالبي بناحية وادي يَسّر التي تقع بالجنوب الشرقي من مدينة الجزائر على بعد 86كم وتسمى في الوقت الراهن مدينة بومرداس، فكانت ولادته سنة 785هـ-1385م[3].

نشأ الإمام الثعالبي في أسرة علمية متدينة محافظة شريفة، فقد كان والده محمد وجده مخلوف وعمه عمر من أهل القرآن والعلم والصلاح والدين، فكبر في هذه البيئة على الصلاح والتقى والعبادة والعلم إلى أن أصبح شابا، فتعلّم العلم بمنطقته وتفقه وحضر دروس علمائها[4].

---

1 ينظر: المرجع السابق.

2 ينظر: عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، (ج2،ص280).

3 ينظر: محمد ابن سالم مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، (ج1،ص382).

4 ينظر: عبد الرحمن الثعالبي، جامع الأمهات في أحكام العبادات، (ج1، ص82).

اشتغل رحمه الله منذ نعومه أظافره بحفظ القرآن الكريم التي هي العادة التي تعارف عليها من أراد أن يصبح عالما أو داعية أو إماما، ثم تعلم الكتابة والخط، ثم أصبح يطالع الكتب ويتعلم منها، وقد كان جادا في تحصيل العلوم النافعة في شتى الميادين[1].

كان يغلب على عصر الإمام الثعالبي القرن التاسع الهجري وبيئته التي ترعرع فيها انتشار التصوف يقول أبو القاسم سعد الله :"ولم يكن الثعالبي سوى نتاج العصر الذي عاش فيه كما عرفنا. فقد ولد بوادي يسير غير بعيد من مدينة الجزائر. ودرس بهذه المدينة ومنها انطلق إلى بجاية لقربها وشهرة علمائها في الدين والتصوف، وخاصة مدرسة عبد الرحمن الوغليسي"[2].

توفي الإمام عبد الرحمن الثعالبي رحمه الله تعالى رحمة واسعة في صبيحة يوم الجمعة الثالث والعشرين من شهر رمضان سنة خمس وسبعين وثمانمائة للهجرة الموافق الخامس عشر من شهر مارس 1470م، فحُمل جثمانه من بيته القريب من الجامع الأعظم ودفن بالمقبرة المعروفة بجبانة الطلبة، تقع في ربوة خارج باب الوادي، وصارت تعرف باسمه[3].

2.3. المنحى الصوفي للإمام الثعالبي عند عبد اللطيف عبادة.

يرى المفكر عبد اللطيف عبادة أنّ الإمام الثعالبي قد صبغ تفسيره الجواهر الحسان بالصبغة الروحية مستندا في ذلك إلى طريقة ابن عطاء الله السكندري في فهم النصوص القرآنية، فمن خلال هذه الصبغة التي صبغ بها تفسيره استطاع المفكر عبد اللطيف عبادة أن يصنف الإمام عبد الرحمن الثعالبي مع أي المدارس الصوفية فقال:" لن ينساق الثعالبي وراء غلاة الصوفية الذين لا يذكر منهم سوى البسطامي كما لم يرض بمهاجمة أبي حامد الذي اجتهد في إحياء علوم الدين بأن أعاد لها قلبها النابض بعد أن تحولت على أيدي بعض أهل الظاهر إلى مماحكات وجدال لا ينتهي. ويعيد الثعالبي للتفسير روحه بعد أن أغرق في خضم المسائل والأقاويل المتناقضة والإسرائيليات وبعد أن حوله الغلاة إلى رموز واصطلاحات يعجز الناس عن إدراك مدلولها وعن تطبيقها في الحياة البشرية"[4]، ويقول أيضا:" وسنبين بالرجوع إلى الجواهر الحسان بعض الأفكار الصوفية التي اقتبسها الثعالبي من العاقبة تتصل بتصوف الغزالي السني وتبتعد عن التصوف المتطرف وشطحاته وطاماته. وقد وصلنا من مؤلفات الثعالبي ذات النزعة الصوفية الغزالية الأقرب إلى أبي مدين منها إلى ابن سبعين وابن عربي من دعاة وحدة الوجود؛

1 عبد الرحمان الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (ج1، ص11).

2 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص91.

3 ينظر: عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، (ج2، ص283).

4 عبد اللطيف عبادة، التفسير الصوفي للشيخ عبد الرحمن الثعالبي، ص17.

الأنوار المضيئة الجامع بين الحقيقة والشريعة والفائق في الأذكار والدعوات والعلوم الفاخرة في أحوال الآخرة والنصائح"[1].

ذهب المفكر عبد اللطيف عبادة إلى أنّ الإمام الثعالبي هو أحد أقطاب التصوف السني فقال:" إنّ التفسير الصوفي للقرآن الكريم الذي يعد الثعالبي أحد أقطابه السنيين استقى أفكاره الأساسية من القرآن والسنة ومن سير السلف الصالح، قبل أن يستقيها من غيرهم وحرص حرصا شديدا أن يكون تفسيره موافقا للنصوص في باطنه وظاهره"[2].

عدّد المفكر عبد اللطيف عبادة رجال التصوف الذين تأثر بهم الثعالبي وأخذ عنهم وهم؛ عبد الحق البجائي المتوفى سنة 582هـ، وأبو حامد الغزالي المتوفى سنة 505هـ، وأبو مدين التلمساني الذي يعد شيخا للإمام الثعالبي، وأبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي المتوفى سنة 671، والحارث المحاسبي المتوفى سنة 243هـ، وابن برجان المتوفى سنة 530هـ، وأبو الحسن الشاذلي، فالشاذلي على وفق قول المفكر عبد اللطيف عبادة قد أثر بشكل كبير على الثعالبي، وأنّ أبا الحسن الشاذلي وأبا العباس المرسي وابن عطاء الله السكندري يمثلون مدرسة صوفية سنية بكل ما للسنية من معنى وهذا المنحى هو الذي انتحاه الثعالبي في تفسيره[3].

ويقول المفكر عبد اللطيف عبادة في موضع آخر من كتابه وهو يتحدث عن السلسلة الذهبية التي استقى منها الثعالبي تصوفه السني:" هكذا نجد أنّ السلسلة الذهبية التي استقى منها الثعالبي تصوفه تبدأ بالمحاسبي وأبي القاسم الجنيد وأبي القاسم القشيري وتنتهي بابن عطاء مرورا بأبي حامد ومن تأثر به مثل أبي مدين الذي يعد من كبار متصوفة المغرب الإسلامي مع أبي الحسن الشاذلي وأبي مدين التلمساني وعبد الرحمن الوغليسي وأبي العباس أحمد إدريس وغيرهم[4].

استخلص المفكر عبد اللطيف عبادة بعد عرض مطول لآرائه في تصوف الإمام الثعالبي أنّه استند في تصوفه إلى كبار رجال التصوف المعتدلين تاريخيا، و انتقد الاتجاه الصوفي الذي يميل لابن عربي والحلاج فقال:" يجدر بنا أن نشير ثانيا إلى كون الثعالبي استند إلى التصوف السني بدءا بالحسن البصري الزاهد إلى المحاسبي مرورا بالجنيد فسري السقطي فالطوسي فالقشيري فعز الدين بن عبد السلام فسهل التستري فأبي طالب المكي وصولا إلى أبي حامد الغزالي. يطفو على سطح هذا التصوف إشارته إلى الشبلي وأبي يزيد البسطامي اللذين سيميلان إلى الحلاج ومنحاه المنحرف"[5].

1 عبد اللطيف عبادة، التفسير الصوفي للشيخ عبد الرحمن الثعالبي، ص18-19.

2 المرجع نفسه، ص25.

3 ينظر: المرجع نفسه، ص18-20.

4 ينظر: المرجع نفسه، ص24.

5 المرجع نفسه، ص25-26.

3.3. مصادر التصوف عند الإمام الثعالبي في منظور عبد اللطيف عبادة.

1.3.3. تأثره بالحسن البصري:

ذهب المفكر الجزائري عبد اللطيف عبادة إلى أنّ الإمام عبد الرحمن الثعالبي أخذ أفكارا كثيرة عن أوائل المتصوفة والزهاد ووظّف ذلك في تفسيره الجواهر الحسان من خلال الاستدلال بأئمة الزهد والاستعانة بأقوالهم في التفسير، ومثال ذلك قول الله عز وجلّ:﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[البقرة: 40] قال الثعالبي: "أمر وجوابه، وهذا العهد في قول جمهور العلماءِ عامٌّ في جميع أوامره سبحانه ونواهيه ووصاياه لهم، فيدخل في ذلك ذكر محمّد صلّى الله عليه وسلم الذي في التوراة، والرهبةُ يتضمَّن الأمر بها معنى التهديد، وأسند الترمذيُّ الحَكِيمُ في «نَوَادِرِ الأصول» له عن النبيّ صلّى الله عليه وسلم أنه قال: «قَالَ رَبُّكُمْ سُبْحَانَهُ: لَا أَجْمَعُ على عَبْدِي خَوْفَيْنِ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ، فَمَنْ خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ فِي الآخِرَةِ، وَمَنْ أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا، أَخَفْتُهُ فِي الآخِرَةِ»[1] . انتهى من «التذكرة»[2] للقرطبيّ، ورواه ابن المبارك في «رَقَائِقِهِ»[3] من طريق الحسن البصريّ، وفيه: قَالَ اللَّهُ: «وَعِزَّتِي، لَا أَجْمَعُ على عَبْدِي خَوْفَيْنِ، وَلَا أَجْمَعُ لَهُ أَمْنَيْنِ فَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَإِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ» انتهى"[4].

قال المفكر عبد اللطيف عبادة:" تردد اسم الحسن البصري (ت110هـ) رحمه الله في الجواهر الحسان مرارا خاصة في تفسير قوله-ص-(حديث قدسي):" وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين..."[5] ولذلك كان حريا بالعارفين بالله أن يغلبوا الخوف على الرجاء طول الحياة. فإذا جاء الموت غلب الرجاء. ومنه تمني الحسن البصري أن يكون الرجل الذي هو آخر من يدخل الجنة"[6].

يبين المفكر عبد اللطيف عبادة كيف أنّ الإمام عبد الرحمن الثعالبي وظّف أفكارا للتصوف السني المشتمل على الترغيب والترهيب باعتماده على أحد كبار أئمة الزهد الحسن البصري عليه رحمة الله تعالى في واحدة من القضايا الوجودية والمصيرية للإنسان في دنياه وأخراه بأن يعيش في خوف دائم من الوقوع في المعاصي والذنوب صغيرها وكبيرها، وأن ينزع من تفكيره ارتكاب الذنوب عمدا بالرغم من معرفة حرمتها وأنّ الله غفور رحيم، فليتذكر هذا الإنسان أنّ الله شديد العقاب وأنّ الله سريع العقاب.

---

1 محمد بن علي، أبو عبد الله الحكيم الترمذي، نوادر الأصول في أحاديث الرسول، الأصل الثالث والثلاثون والمائة، باب فيما يعلم به منزلة العبد عند الله تعالى، ج2/ ص129.

2 أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص173.

3 عبد الله بن المبارك المروزي، الزهد والرقائق لابن المبارك، كتاب الزهد برواية المروزي، باب ما جاء في الخشوع والخوف، ص50، رقم:157.

4 عبد الرحمن الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ، ج1/ ص227.

5 أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، شعب الإيمان، باب الخوف من الله تعالى، ج2/ص223، رقم:759.

6عبد اللطيف عبادة، التفسير الصوفي للشيخ عبد الرحمان الثعالبي، ص33.

2.3.3. تأثره بالحارث المحاسبي:

يظهر تأثر الإمام الثعالبي بالعلامة الحارث المحاسبي جليا أثناء استدلاله "برسالة المسترشدين" "وكتاب القصد إلى الله سبحانه" أثناء تفسيره للآيات القرآنية، قال تعالى:﴿وَفِي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَما تُوعَدُونَ (22) فَوَ رَبِّ السَّماءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾[الذاريات: 22-23] قال الإمام الثعالبي:" ورُوِيَ أَنَّ بَعْضَ الأعراب الفصحاء سَمِعَ هذه الآيةَ فقال: مَنْ أَخْوَجَ الكريمَ إلى أَنْ يحلف؟! والحكاية بتمامها في كتاب الثعلبيّ، وسبل الخيرات، وروي أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قَالَ: «قَاتَلَ اللَّهُ قَوْماً، أَقْسَمَ لَهُمْ رَبُّهُمْ بِنَفْسِهِ فَلَمْ يُصَدِّقُوهُ»[1] ورَوَى أبو سعيد الخُدَرِيُّ أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قَالَ: «لَوْ فَرَّ أَحَدُكُمْ مِنْ رِزْقِهِ لَتَبِعَهُ كَمَا يَتْبَعُهُ المَوْتُ»[2] وأحاديث الرزق كثيرة، ومن كتاب «القصد إلى اللَّه سبحانه» للْمُحَاسِبِيّ: قال: قلتُ لشيخنا: من أين وقع الاضطرابُ في القلوب، وقد جاءها الضمان من الله عز وجل؟ قال: من وجهين. أحدهما: قِلَّةُ المعرفة بحُسْنِ الظّن، وإلقاء التّهم عن الله عز وجل. والوجه الثاني: أنْ يعارضها خوفُ الفَوْت، فتستجيبَ النفسُ للداعي، ويَضْعُفَ اليقينُ، ويَعْدِمَ الصبرُ، فيظهرَ الجَزَعُ. قلتُ: شيءٌ غيرُ هذا؟ قال: نعم، إنّ الله عز وجل وَعَدَ الأرزاق، وضَمِنَ، وغَيَّبَ الأوقات ليختبرَ أهلَ العقول، ولولا ذلك لكان كُلُّ المؤمنين راضين صابرين متوكّلين، لكنّ الله عز وجل أعلمهم أَنَّهُ رازقهم، وحَلَفَ لهم على ذلك، وغيّب عنهم أوقات العطاء، فمن هاهنا عُرِفَ الخَاصّ من العامّ، وتفاوت العبادُ في الصبر، والرضا، واليقين، والتوكل، والسكون، فمنهم- كما علمتَ- ساكنٌ، ومنهم متحرك، ومنهم راض، ومنهم ساخط، ومنهم جَزِعٌ، فعلى قَدْرِ ما تفاوتوا في المعرفة- تفاوتوا في اليقين، وعلى قَدْرِ ما تفاوتوا في اليقين- تفاوتوا في السكون والرضا والصبر والتوكل. اهـ"[3].

أورد المفكر الجزائري عبد اللطيف عبادة كلام الإمام الثعالبي حول فكرة الرزق وأنّه مضمون من الله عز وجل فقال:" وقد رجع إلى كتاب القصد إلى الله سبحانه للمحاسبي"[4] يقصد الإمام الثعالبي- ثم أورد كلام الإمام الثعالبي في تفسير هذه الآية، ثم قال معلقا عن اقتباس الإمام الثعالبي وفق رؤيته لهذه الفكرة من العلامة الحارث المحاسبي فقال:" وإنّ حسن الاقتباس جعل الثعالبي يضع إصبعه على مكمن الداء والله يقول:﴿إِنَّما يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ﴾ [فاطر: 28] وقد أوقفنا كتاب القصد إلى الله سبحانه وتعالى للمحاسبي عن إمكانية التوفيق بين المحبة والخوف في قلب المؤمن وتخلية الصدور من هيبة سوى

1 أبو موسى محمد بن عمر الأصبهاني، ذكر الإمام أبي عبد الله بن منده، باب ذكر من اسمه أحمد ممن سمعت منهم من أصحاب الإمام أبي عبد الله، ص58، رقم:30.

2 أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط للطبراني، باب العين من اسمه عبد الله، ج4/ص363، رقم:4444، بلفظ:" ...لأدركه كما يدركه الموت".

3 عبد الرحمان الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج5/ ص301-302.

4عبد اللطيف عبادة، التفسير الصوفي للشيخ عبد الرحمن الثعالبي، ص45.

الله حياء منه"[1] وقد فسرها الإمام الثعالبي قائلا:" لأنه كَلَامٌ يدُلُّ عَلى أنَّ مَنْ لَمْ يَخْشَ اللَّه، فَلَيْسَ بعالِمٍ. انتهى"[2].

نتعلم من خلال هذه الآيات الكريمات، وتفسير الإمام الثعالبي لها، وتعليق المفكر عبد اللطيف عبادة عليها أنّ الخشية والخوف من الله وحده فقط؛ لأنّ هذه قضية شائكة في عصرنا فغلب على النّاس خوفها من بعضها دون خوفهم من خالقهم الذي يعبدونه، فتجد الواحد منهم لا يتجرأ على معصية الله أمام النّاس لكن عندما يختلي بنفسه يفعل الأفاعيل والمنكرات العظيمة، وتعلمنا هذه الآيات أنّ النّاس مهما اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يستطيعوا ذلك إذا تسلحت بسلاح حسبنا الله ونعم الوكيل فهي عبارة تعبر عن قوة علاقة الإنسان بربه.

4. علاقة تصوف الإمام الثعالبي بالإصلاح الجزائري في فكر عبد اللطيف عبادة.

لعب الإمام عبد الرحمن الثعالبي دورا مهما في إصلاح الحياة الاجتماعية والسياسية في الجزائر إبّان الحكم العثماني لها، فكان بمثابة الأب الروحي للشعب الجزائري، فقد أحدث فكره الصوفي المعتدل نقلة نوعية في تغيير الفكر الخرافي والأسطوري الذي كان يغلب على المجتمع عموما، لهذا سيكون الحديث في هذا المبحث عن تأثر رواد الإصلاح بالثعالبي.

1.4. رواد الإصلاح وعلاقتهم بالثعالبي في فكر عبد اللطيف عبادة.

أورد المفكر عبد اللطيف عبادة في كتابه التفسير الصوفي للشيخ عبد الرحمن الثعالبي صلة علماء الإصلاح الجزائريين بالإمام عبد الرحمن الثعالبي، ومن هؤلاء المصلحين عبد الحميد بن سماية ومحمد بن مصطفى بن الخوجة، وقد أوردهم المفكر الجزائري في الباب الثاني من الكتاب ترجم له بعنوان:" تفسير الثعالبي الصوفي السني وعلاقته بالإصلاح الجزائري المعاصر" الجزء الأول من الباب بعنوان:" الإصلاحيون الأوائل من أتباع الشيخ محمد عبده وعلاقتهم بالثعالبي[3].

بدأ المفكر الجزائري عبد اللطيف عبادة يعدد هؤلاء المصلحين وعلاقتهم بالثعالبي فقال:" اهتم عبد الحليم بن سماية ومحمد بن مصطفى بن الخوجة وغيرهم من المصلحين أنصار الشيخ محمد عبده بالثعالبي ومؤلفاته، وكان الشيخ عبد الحليم بن سماية (1283-1353هـ)، حسب ما يرويه تلميذه الشيخ عبد الرحمن الجيلالي أول من اهتم بتدريس رسالة التوحيد للإمام محمد عبده وختمها في ظرف سبعة أشهر. كما درّس الاقتصاد في الاعتقاد لأبي حامد الغزالي وقام بتفسير سورة البقرة من الجواهر الحسان للثعالبي بالجامع الجديد مع العلم بأنّه كان حنفي المذهب، ومما يذكره الشيخ عبد الرحمن الجيلالي أنّه قد نشرت

1عبد اللطيف عبادة، التفسير الصوفي للشيخ عبد الرحمن الثعالبي، ص46.

2 عبد الرحمان الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن ج2/ ص12.

3 ينظر: عبد اللطيف عبادة، التفسير الصوفي للشيخ عبد الرحمن الثعالبي، ص75.

للشيخ عبد الحليم بن سماية رسالة بعنوان "الكنز المدفون والسر المكنون" طبعت بالجزائر على نفقة بعض الأفاضل سلك فيها الشيخ مسلكا صوفيا لم يرق لبعض رجال الطرق ولاسيما منهم التيجانية"[1].

إنّ قيام الشيخ عبد الحليم بن سماية بتدريس تفسير سورة البقرة من تفسير الإمام عبد الرحمن الثعالبي بالتحديد وليس غيره من التفاسير لهو دليل قاطع على مدى تأثير الإمام عبد الرحمن الثعالبي في الشيخ عبد الحليم بن سماية عندما درّس تفسير الثعالبي وأيّ سورة فسرها منه؛ سورة البقرة.

ثم أكمل المفكر الجزائري عبد اللطيف عبادة في تعداد شيوخ الإصلاح في الجزائر و أعمالهم فقال أيضا:" وقام محمد بن مصطفى بن الخوجة المدرس والإمام الخطيب بجامع سفير بتحقيق الجواهر الحسان للثعالبي بعد أن قابله بسبع نسخ مستعينا بقدور بن محمد الإمام الأول بالمسجد الأعظم وطبعه أحمد بن مراد وشقيقه قدور في مطبعة الثعالبية في آخر ذي الحجة 1327هـ.وقرّظه ابن الزّكري محمد سعيد بن أحمد مفتي السادة المالكية والمدرس بالمدرسة الثعالبية. فقال عنه-يقصد الجواهر الحسان في تفسير القرآن " تفسير جليل عار عن شبهات الضلال والتضليل"[2].

يرى المفكر عبد اللطيف عبادة أنّ من الأمور التي تدل على تأثر محمد بن مصطفى بن الخوجة تحقيقه لتراث الإمام الثعالبي كالجواهر الحسان، ثم عرّج المفكر عبد اللطيف عبادة على مؤَلَف آخر للثعالبي وهو العلوم الفاخرة في النظر في علوم الآخرة فقال:" وقد قام محمد بن مصطفى بن الخوجة أيضا بتحقيق كتاب آخر للثعالبي وهو " العلوم الفاخرة في النظر في علوم الآخرة" وساعده قدور بن محمد الإمام الأول بالمسجد الأعظم"[3].

يستنبط عبد اللطيف عبادة من خلال دراسته لموروث الإمام الثعالبي أنّ تصوفه السني انتقل بالمجتمع من الدائرة الفردية الضيقة إلى دائرة المجتمع الواسعة بعلاج مشاكله كأنّ الإمام الثعالبي هو إصلاح يمشي على وجه الأرض، ونستنبط هذا من قوله:" ومنذ هذا العهد بدأ المصلحون يخرجون بالإسلام من الدائرة الفردية إلى الدائرة الاجتماعية، فلم يعد الإسلام مجرد أذكار وأوراد يلتزم بها السالك في الخلوة بل تعدى الأمر ذلك إلى إصلاح المجتمع وآفاته، ولذلك تمسك هذا الرعيل من المصلحين بالثعالبي وما جاء به من جوانب روحية نفيسة وبمحمد عبده وما جاء به من أفكار نهضوية تحرك دواليب التاريخ"[4].

يشير المفكر عبد اللطيف عبادة إلى أحد أهم الأفكار التي بجب غرسها في نفوس الجزائريين بمختلف مستوياتهم وهي اهتمام الجزائريين بعلماء بلادهم وتحقيق تراثهم ودراسة فكرهم، فاهتمام عبد الحميد بن سماية بتدريس تفسير الإمام الثعالبي، ومحمد بن مصطفى بن الخوجة بتحقيق تراث الإمام الثعالبي لهو

1ينظر: عبد اللطيف عبادة، التفسير الصوفي للشيخ عبد الرحمن الثعالبي، ص75.

2 ينظر: المرجع نفسه، ص75-76.

3 ينظر: المرجع نفسه، ص76.

4 ينظر: المرجع نفسه، ص76.

دليل قاطع على اهتمامهم بعلماء بلادهم، وبهذا يجب أن نقتدي بهم في هذا الطريق وأن لا نكون كما قال المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله:" فقد اشتهر الجزائريون منذ القديم بأنهم لا يقيمون وزنا لعلمائهم ولا يعترفون لهم بحرمة أو عهد، وهي ظاهرة كانت أقسى على هؤلاء العلماء من ظلم الحكام وظلم العصر، بل لعلها هي التي أجبرت عددا كبيرا منهم كما سنرى على الهجرة والعيش خارج الجزائر"[1].

2.4. عناية مبارك الميلي بالجواهر الحسان في منظور عبد اللطيف عبادة.

يعد الشيخ مبارك الميلي أحد كبار المصلحين الجزائريين في العصر الحديث، حيث كان مع ثلة من رفاقه في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يقاومون الاستعمار علميا وفكريا وأخلاقيا، واستندوا في ذلك إلى علماء بلادهم بالاستعانة بتراثهم العلمي الذي تركوه كالإمام عبد الرحمن الثعالبي، فيرى المفكر الجزائري عبد اللطيف عبادة أنّ الشيخ مبارك الميلي كونه أحد رواد الإصلاح في الجزائر قد تأثر بالإمام عبد الرحمن الثعالبي، وهذا استنبطه من قول الشيخ مبارك الميلي في الإمام الثعالبي أثناء حديثه عن الثعالبة فقال: "وإذا لم يظهر من الثعالبة أمراء عظام فكفاهم فخرا عبد الرحمن الثعالبي دفين الجزائر وعالم القرن التاسع"[2]، وأثنى على الإمام الثعالبي في تواضعه بأنّه من العلماء الذين لم يدّعوا الاجتهاد فقال:" فإن هنالك مفسرين وشراح حديث لم يدَّعوا الاجتهاد، ولا نسبوا إليه؛ من أشهرهم بمغربنا عبد الرحمن الثعالبي صاحب " الجواهر الحسان في تفسير القرآن "[3].

يبرز جليا لقارئ رسالة الشرك ومظاهره للشيخ مبارك الميلي مدى اهتمامه بتراث الإمام عبد الرحمن الثعالبي، فمن خلال هذه الرسالة يتضح أنّ الشيخ مبارك الميلي قد دَرَسَ تفسير الإمام الثعالبي كاملا، وقد استدل بالتفسير في غير ما موضع من رسالة الشرك ومظاهره، وسأذكر المسائل التي اعتمد فيها على الجواهر الحسان.

1.2.4. استدلال الشيخ مبارك الميلي بالإمام الثعالبي في معنى الولي.

قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ [الجمعة: 6]، ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ [التحريم: 4]﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ [الأنعام: 62].

قال الإمام الثعالبي في معنى الولي:" وقوله سبحانه: أَلا إِنَّ أَوْلِياءَ اللَّهِ ... الآيةُ: «ألا» استفتاح وتنبيه، وأَوْلِياءَ اللَّهِ: هم المؤمنون الذينَ وَالوهُ بالطاعةِ والعبادةِ، وهذه الآية يُعْطِي ظاهرُها أَنَّ مَنْ آمَنَ واتقَى اللَّه، فَهُوَ داخلٌ في أولياء اللَّه، وهذا هو الذي تقتضيه الشريعةُ في الوَلِيِّ، وروي عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أَنَّهُ سُئِلَ، مَنْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «الَّذِينَ إذا رأيتهم ذكرت الله» «1» قال: ع «2» : وهذا وصفٌ لازِمٌ للمتَّقِين

1 أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1/ ص59.

2 مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج2/ص372.

3 مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، ص77.

لأنهم يَخْشَعُونَ ويُخْشِعُونَ، وروي عنه صلّى الله عليه وسلّم أيضاً أَنَّهُ قَالَ: «أَوْلِيَاءُ اللَّه قَوْمٌ تَحَابُّوا فِي اللَّهِ، وَاجْتَمَعُوا فِي ذَاتِهِ، لَمْ تَجْمَعْهُمْ قَرَابَةٌ وَلَا مَالٌ يَتَعَاطَوْنَهُ»"[1]

قال عبد اللطيف عبادة:" ورجع الميلي إلى الجواهر الحسان فاقتبس منها قول الثعالبي؛ إذا لازم أحد أحداً بنصره ووده واهتباله؛ فهو وليه، هذا عرفه لغة "[2].

2.2.4. استدلال الشيخ مبارك الميلي بالإمام الثعالبي في باب ما جاء في الدعاء الديني.

ذكر الشيخ مبارك الميلي عديد الآيات القرآنية التي موضوعها الحديث عن الدعاء، قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الإسراء: 110] ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: 67]، ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ [الأنفال: 9]، ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾[الأنبياء: 112] كما أورد جملة كبيرة من الأحاديث النبوية في ذلك، واستدل بتفسير الإمام الثعالبي فقط من المفسرين في معنى الدعاء؛ وفي " تفسير الثعالبي " عن ابن رشد، أنه قال في " البيان ": " الدعاء عبادة من العبادات، يؤجر فيها الأجر العظيم، أجيبت دعوته فيما دعا به أم لم تجب"[3].

*قال المفكر عبد اللطيف عبادة:" ولقد ركزنا على فلسفة الدعاء في تفسير الثعالبي كما أخذها من شيوخه الشاذليين"[4].

2.2.4. استدلال الشيخ مبارك الميلي بالإمام الثعالبي في معنى الاستهلال لغير الله.

قال الثعالبي "وأُهِلَّ بِهِ: معناه صِيحِ به ومنه: استهلالُ المولودِ، وجرَتْ عادة العرب بالصياحِ باسم المقصودِ بالذبيحةِ، وغلب ذلك في استعمالهم حتى عبر به عن النيَّة التي هي علَّة التحريم"[5].

وقال مبارك الميلي نقلا عن الثعالبي: "أن معنى الإهلال الصياح، ومنه استهلال المولود، وجرت عادة العرب بالصياح باسم المقصود بالذبيحة، وغلب ذلك في استعمالهم، حتى عبر به عن النية التي هي علة التحريم"[6].

قال عبد اللطيف عبادة:" ويتوقف قليلا عند الإهلال لغير الله في تفسير الثعالبي، فمعنى الإهلال الصياح ومنه استهلال المولود، وجرت عادة العرب بالصياح باسم المقصود بالذبيحة"[7].

قام الشيخ مبارك الميلي في تفسير الإهلال لغير الله بالاستدلال بعدد من التفاسير؛ كتفسير الثعالبي وتفسير ابن كثير وتفسير الشوكاني، إلا أنَه أورد الاستدلال بتفسير الإمام الثعالبي كأول تفسير من بين

1 عبد الرحمان الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج3، ص253.

2 عبد اللطيف عبادة، التفسير الصوفي للشيخ عبد الرحمان الثعالبي، ص82.

3 عبد الرحمان الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1/ ص385، مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، ص275.

4 عبد اللطيف عبادة، التفسير الصوفي للشيخ عبد الرحمان الثعالبي، ص 85.

5 عبد الرحمان الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج1/ ص359

6 مبارك الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، ص372.

7 عبد اللطيف عبادة، التفسير الصوفي للشيخ عبد الرحمن الثعالبي، ص85.

هذه التفاسير، وكأنّ الشيخ مبارك الميلي يقول لنا أنّني أقدّم تفسير الثعالبي على جميع التفاسير الأخرى من ناحية الاهتمام بها.

3.2.4. استدلال الشيخ مبارك الميلي بالإمام الثعالبي في معنى اتهام النفس:

قال الإمام الثعالبي:" وقوله سبحانه: فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ ظاهره النهيُ عن تزكية الإنسانِ نَفْسَهُ، ويحتمل أَنْ يكونَ نهياً عن أنْ يُزَكِّيَ بعضُ الناسِ بعضاً، وإذا كان هذا، فَإِنَّما يُنْهَى عن تزكية السمعة والمدح للدنيا أو القطع بالتزكية، وأَمَّا تزكيةُ الإمامِ والقُدْوَةِ أحداً لِيُؤْتَمَّ به أو ليتهمم الناسَ بالخير، فجائز، وفي الباب أحاديثُ صحيحة، وباقي الآية بَيِّنٌ، ت: قال صاحِبُ «الكَلِمِ الفارِقِيَّةِ» : أَعْرَفُ الناسِ بنفسه أَشَدُّهُمْ إيقاعاً للتهمة بِها في كل ما يبدو ويظهرُ له منها، وأجهلهم بمعرفتها وخفايا آفاتها وكوامن مكرها مَنْ زَكَّاها، وأَحْسَنَ ظَنَّهُ بها لأَنَّها مُقْبِلَةٌ على عاجل حظوظها، مُعْرِضَةٌ عنِ الاستعداد لآخرتها، انتهى، وقال ابن عطاء اللَّه: أَصْلُ كل معصيةٍ وغفلة- وشهوة/- الرضا عن النفس، وأصل كل طاعة، ويقظة، وعِفَّةٍ- عَدَمُ الرضا منك عنها قال شارحه ابن عُبَّاد: الرضا عن النفس: أصل جميع الصفات المذمومة، وعَدَمُ الرضا عنها أصلُ الصفات المحمودة، وقدِ اتَّفق على هذا جميعُ العارفين وأرباب القلوب وذلك لأَنَّ الرضا عن النفس يوجب تغطيةَ عيوبِهَا ومساويها"[1]، وقال الإمام مبارك الميلي مستدل على هذا المعنى الذي أخذه عن الإمام الثعالبي:" وأساس الخير اتهام النفس وعدم الرضى عنها، وقد قال الله: {فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى} [النجم: 32] ولا يعين على شهود النقص في النفس كالوقوف على اجتهاد السلف الصالح؛ ففي سيرة الحسن البصري الذي عاش في القرن الأول ومات أوائل الثاني؛ أنه قال: " رأيت سبعين بدريّاً، لو رأيتموهم؛ لقلتم: مجانين، ولو رأوا خياركم؛ لقالوا: ما لهؤلاء من خلاق. ولو رأوا شراركم، لقالوا: هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب " هذا خطاب الحسن لأهل عصره من التابعين وتابعيهم، فبماذا يخاطب أهل القرن الرابع عشر؟"[2]، فمن خلال هذه الأمثلة الأربعة يتضح أنّ تفسير العلامة الثعالبي يغلب عليه النزعة الروحية الصوفية التي تقوم على مبدأ تخلية الروح من الرذائل وتحليتها بالفضائل.

5. خاتمة

الحمد لله وكفى، ثم الصلاة والسلام على نبيه الذي اصطفى، وعلى آله وصحبه آل الوفى، فقد تضمن البحث الكلام على تصوف العلامة عبد الرحمن الثعالبي في تفسيره لآيات القرآن الكريم عند المفكر الجزائري عبد اللطيف عبادة، والمدرسة الصوفية التي ينتمي إليها الثعالبي، ودور تصوف الثعالبي في عملية الإصلاح الاجتماعي على مَرّ تاريخ الجزائر، و في خاتمة البحث استخلصت النتائج الآتية:

1. يعد عبد اللطيف عبادة من أكبر المفكرين بالجزائر في القرن العشرين لتتلمذه على يد مالك بن نبي.
2. فكر عبد اللطيف عبادة هو تزاوج بين فكر مالك بن نبي وفكر علماء جمعية العلماء المسلمين.

1 الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج5، ص329.

2 رسالة الشرك ومظاهره، ص96.

3. الارتباط الوثيق بين العلماء الجزائريين قديما وحديثا يمثل العمود الأساس في المحافظة على تراث الأمة الجزائرية الزاخر بالعلماء.
4. عبد اللطيف عبادة هو أول من أجرى دراسة عن التفسير الصوفي لآيات القرآن الكريم عند الإمام الثعالبي في كتابه التفسير الصوفي للشيخ عبد الرحمن الثعالبي.
5. خَلُص المفكر عبد اللطيف عبادة أن الإمام الثعالبي ضمّن تفسير الجواهر الحسان تصوفا سنيا يشتمل على الترغيب والترهيب.
6. تصوف الإمام الثعالبي في فكر عبد اللطيف عبادة هو امتداد للمدرسة الشاذلية لأبي الحسن الشاذلي.
7. عناية المفكر عبد اللطيف عبادة والإمام مبارك الميلي بالجواهر الحسان هو دليل على مكانة هذا التفسير في الجزائر منذ تأليفه وإلى الآن.
8. تميز تفسير الجواهر الحسان عن تفسير المحرر الوجيز لابن عطية بالصبغة الصوفية السنية الروحية.

الاقتراحات:

- ✓ عقد ملتقيات دولية ووطنية حول الاهتمام بفكر المفكر عبد اللطيف عبادة خليفة مالك بن نبي.
- ✓ إجراء دراسات أكاديمية حول توظيف فكر عبد اللطيف عبادة في النهوض بالجزائر.
- ✓ تعميق الاهتمام بعلماء الجزائر المغمورين والمشهورين بدراسة تراثهم العلمي الزاخر.

6. قائمة المراجع:

1. ابن المبارك المروزي عبد الله،1431هـ، الزهد والرقائق لابن المبارك، ماليكاون، قام بنشره محمد عفيف الزعبي، بإذن خطي من محققه حبيب الرحمن الأعظمي ووكيل مجلس إحياء المعارف.
2. ابن سالم مخلوف محمد بن محمد بن عمر بن علي، 1424هـ-2003م، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لبنان، الناشر: دار الكتب العلمية.
3. الأصبهاني أبو موسى محمد بن عمر، 1425هـ-2004م، ذكر الإمام أبي عبد الله بن منده، بيروت-لبنان، الناشر: دار البشائر الإسلامية.
4. البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين، 1423هـ-2003م،الرياض-الهند، شعب الإيمان، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند.
5. الثعالبي عبد الرحمان، 1418هـ،الجواهر الحسان في تفسير القرآن، بيروت، الناشر: دار إحياء التراث.
6. الثعالبي عبد الرحمن، 2011م، جامع الأمهات في أحكام العبادات، الجزائر، الناشر: دار عالم المعرفة.
7. الجيلالي عبد الرحمن بن محمد، 1385-1965م، تاريخ الجزائر العام بيروت ، الناشر: دار مكتبة الحياة.
8. الحكيم الترمذي محمد بن علي، نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، بيروت، الناشر: دار الجيل.
9. سعد الله أبو القاسم، 2007م، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزائر، الناشر: دار البصائر للنشر والتوزيع.

10. الطبراني، سليمان بن أحمد، 1415هـ-1995م، المعجم الأوسط، القاهرة،. الناشر: دار الحرمين.
11. عبادة عبد اللطيف، 2007م، التفسير الصوفي للشيخ عبد الرحمن الثعالبي، الجزائر، الناشر: دار عالم الأفكار.
12. القرطبي شمس الدين محمد بن أحمد أبو عبد الله، 1425هـ، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، الرياض، الناشر: مكتبة دار المنهاج.
13. الميلي مبارك، 1406هـ-1986م، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.
14. الميلي مبارك، 1422هـ-2001م، رسالة الشرك ومظاهره، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع.

Bibliography List

1. Ibn al-Mubarak al-Marwazi Abdullah, 1431 AH, Ibn al-Mubarak's El-Zohd wa El-Raqaeq, Malikaon, published by Muhammad Afif al-Zaabi, with a written permission from his investigator, Habib al-Rahman al-Adhami, and the representative of the Council for the Revival of Knowledge.
2. Ibn Salem Makhlouf Muhammad bin Muhammad bin Omar bin Ali, 1424 AH - 2003 AD, Shadjarato El-Nour El-Zakia fi Tabaqat El-Malikia, Lebanon, Publisher: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
3. Al-Asbahani Abu Musa Muhammad bin Omar, 1425 AH - 2004 AD, Dhikr El-Imam Abu Abdullah bin Mandah, Beirut-Lebanon, publisher: Dar Al-Bashaer Al-Islamiyyah.
4. Al-Bayhaqi Abu Bakr Ahmad bin Al-Hussein, 1423 AH - 2003 AD, Riyadh - India, Shoab El-Iman, Publisher: Al-Rushd Library for Publishing and Distribution in Riyadh in cooperation with the Salafi House in Bombay, India.
5. Al-Tha'alibi Abd Al- Rahman, 1418 AH, Al-Jawaher Al-Hasan fi Tafsir Al-Qur'an, Beirut, Publisher: Dar Ihya Al-Tourath Al-Arabi.
6. Al-Tha'alibi Abd Al-Rahman, 2011 AD, Jami' al-Ummahat fi Ahkam al-Ibadah, Algeria, Publisher: Dar Alam al-Ma'rifah for Publishing and Distribution.
7. Al-Jilali Abd al-Rahman bin Muhammad, 1385-1965 AD, Tarikh Al-Djazair Al-Am, Beirut, Publisher: Dar al-Hayat Library.
8. Al-Hakim Al-Tirmidhi Muhammad bin Ali Abu Abdullah, Nawader Al-Usul fi Hadith Al-Rasul, Beirut, Publisher: Dar Al-Jeel.
9. Saadallah Abu Al-Qasim, 2007 AD, Algeria's Cultural History or the Algerian Cultural Encyclopedia, Algeria, Publisher: Dar Al-Basa'ir for Publishing and Distribution.
10. Al-Tabarani Abu Al-Qasim Suleiman bin Ahmed, 1415 AH - 1995 AD, Al-Mu'jam Al-Awsat by Al-Tabarani, Cairo,. Publisher: Dar Al Haramain.
11. Obada Abdul Latif, 2007 AD, Al-Tafsir Al-Sufi by Sheikh Abdul Rahman Al-Tha'alabi, Algeria, Publisher: Dar Alam Al-Afkar.
12. Al-Qurtubi Shams al-Din Muhammad bin Ahmad Abu Abdullah, 1425 AH, Al-Tadhkira bi Ahwal Al-Mota wa Omor Al-Akhira, Riyadh, Publisher: Dar al-Minhaj Library.
13. Al-Mili Mubarak, 1406 AH - 1986 AD, Tarikh Al-Djazair fi Al-Qadir wa Al-Hadith, Algeria, Publisher: Al-Moassasa Al-Watania Lil Kitab.
14. Al-Mili Mubarak, 1422 AH - 2001 AD, Risalet Al-Shirk wa Madhahirihi, Publisher: Dar Al-Raya for Publishing and Distribution.